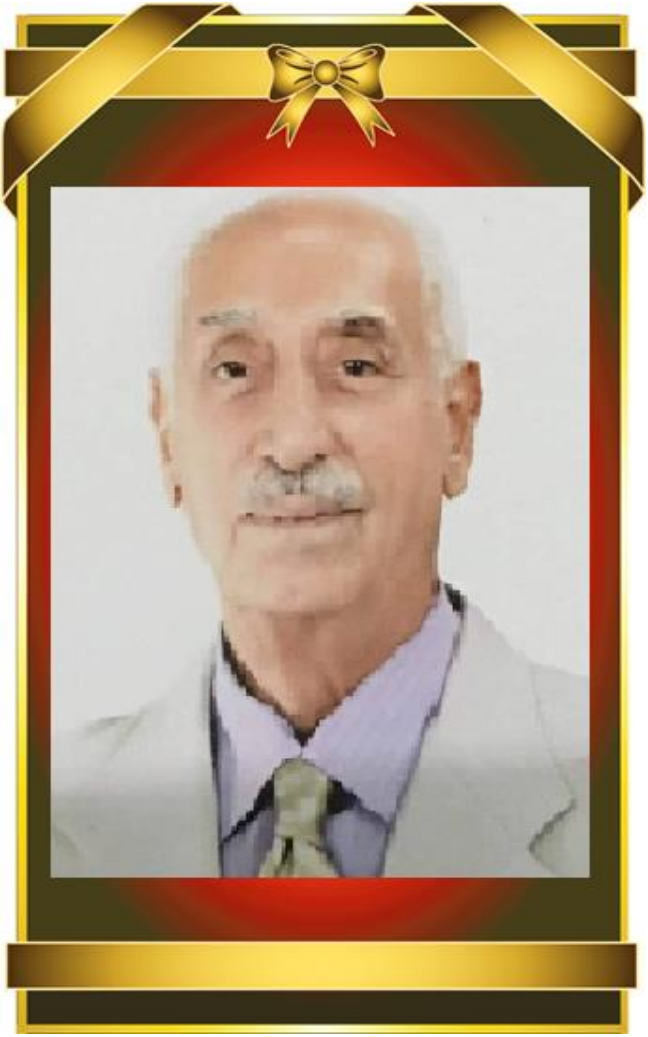

الشاعرالأديب صَبَاح الجُمَيْلِي

صَبَاح الجُمَيْلِي

حلم ضائع

قصص

صدرت الطبعة الأولى فى ديسمبر 2018

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلَّف : حلم ضائع
المؤلِّف : صَبَاح الجُمَيْلي
التصنيف : قصص
رقم الإيداع : 2018 - 17848
الترقيم الدولى : 978-977-6656-90-1
عدد الصفحات : 80 صفحة
رقم الإصدار الداخلى : 260 (الطبعة الأولى ديسمبر 2018)
تصميم الغلاف : الشاعر محمد الساعى

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للشاعر، ولا يحق لأى دار نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب الا بموافقة كتابية وموثقة من الشاعـــر

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعا على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

T H ALNILE WAALFORAT

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

اسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35–01–572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901

alnilwaalfourat alnilwaalfourat@gmail.com

المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

تمهيد

حياةُ الانسانِ وهو كتلةٌ من المشاعرِ والاحاسيسِ تؤثر على نفسهِ وتحدد مسيرتَه، وحياةِ الانسانِ أحداثٌ ومواقفٌ، افراحُ واحزانُ، استقبالٌ وتوديعٌ، وفاءٌ وغدرٌ، صدقٌ وكذبٌ، مشاكلٌ ومنغصاتٌ، وهداية من اللهِ سبحانه وتعالى للحلولِ المناسبةِ وتجاوز تلك المشاكلَ والصعوبات، ومنها ما لا يمكن نسيانه، إن فترة دراستي في كليةِ الهندسةِ كانت لي دروساً وعبر نقلتها لأولادي وأحفادي حيث بينت لهم ان لا شيء ينال مجانا ولا يأتي بسهولة وما كانت الاحلام بالأمنيات بل بالعملِ الجادِ وسهر الليالي حيث بينت لهم كيف أكملتُ دراستي الجامعية وكأنني أتسلق جبلا بأظافري ... وقد لخص الإمامُ محمد ابن ادريس الشافعي ـ رحمه الله ـ صعوباتَ

الحياةِ وكروبها ورحمةَ الله بانفراجها بهاذين البيتين من الشعرِ حيث قال:

ولربَ نازلةٍ يضيق بها الفتى

ذرعا وعند الله منها المخرجُ

ضاقتْ فلما استحكمت حلقاتُها

فرجت وكان يظنها لا تفرجُ

مسيرةُ الحياةِ هذه نجدها بين قوسين اشبه بشريطٍ سينمائي من اول يوم يرى الانسان به النور الى يوم الرحيل محملا بأعمالهِ، بداية ونهاية، ولا تبقى سوى الذكريات الحسنة.

وبين دفتي هذا الكتاب جانبا من حياتي، قصصٌ تمثل احداثا مررت بها صيغت على شكلِ قصة قصيرة، ولا يزال في الذاكرةِ الكثير، فمنها ما يمكن كتابته والبوح به ومنها ما يأبى القلمُ عن سردها، اما لأنها ليست ملكي وحدي واما انها تحمل مأساةً أحاول ان اتجاوزها ولكن لا انساها ...

هذه الحياةٌ تتراقص احداثُها امام عيني بين فترةٍ وأخرى وفيها من العبرِ والتجارب ما دفعت ثمنها من شتات قلبي واشلاء روحي، منها مواقف الغدر والخيانة ومن اقرب الناس لي فاراها مضببة حيث حكم العقلُ عليها بذلك حتى لا تعيق سداد خطى الحاضر ولا صورة طريق المستقبل فكانت درسا لي أن لا أقع بمثل هذه المواقف ولا تكون لي دليلا بالتعاملِ مع غيري من الناس واني والله ادعو لمن خان وغدر ان يسامحهم الله ويغفر لهم ويهدينا واياهم الى طريق الرشاد، وكذلك تبقى في الفكر عالقة مواقفُ الوفاء والإخاء التي لا تنسى وان رحل أصحابُها عني الى رب كريم فهم عندي حاضرون دائما، والحمد لله فإن قائمة الخيرين طويلة مملوءة بأسماء اعلام لن ننساهم.

وهذه المجموعة القصصية التي بين ايديكم وفي محتوى كل قصة منها حدث حقيقي في حياتي، حلم ضائع، السعادة شبح، انه باق وهم الزائلون، لقاء من خيال عاشق، هل هي

بوادر الجنون، الزمن الجميل، آمال ممزقة، وفي كل واحدة من هذه القصص فيها من قلبي وروحي بصمة ...

كان في نيتي ان اطبعَ هذا الكتاب بعد ديواني الشعري (الهديل) والذي أصدرته عام 2005 ولكن تعب السنين ومشاغلها أخرتني حتى التقيت بالأديبةِ المصريةِ السيدة الفاضلة ماجي صلاح في القاهرة وطلبت مني ان أكمل هذه المجموعة القصصية وانشرها، وكذلك التشجيع من ولدي الدكتور احمد وابنتي الدكتورة صبا.

فشكرا لزميلتي الاديبة ماجي صلاح وشكرا لأحبتي فلذات كبدي الدكتور أحمد والدكتورة صبا والدكتورة حنان وسحر وبان ، الدكتورة مها ، وشكرا لأختي الاديبة نجاح ولشريكة حياتي أم أحمد، وأقول لهم جميعا شكرا وألف شكر. ومن الله التوفيق.

صباح الجُميلي

2018 / 9 / 1

الزمنُ الجميل

صَبَاح الـجُـمَـيْـلـي

الزمن الجميل

أحداثٌ ومواقفٌ تمر أمامَ عينيهِ كشريطٍ سينمائي، وأفكارٌ وتساؤلاتٍ تفتش عن الإجابات تتصارع في الفكرِ كتصارعهِ مع السنين التي انقضتْ من عمرهِ، ذلك هو الشيخ صبري جميل وهو يستذكر ما رأى فيها، وصبر صبراً جميلا على ما مر به من تناقضاتٍ، فكان حقاً اسمٌ على مسمى ...

نظر الى قدحِ الشاي أمامهُ وهو مسترخٍ على كرسيهِ الهزاز في حديقةِ الدار، وأخذ يحرك الشاي بالملعقةِ الصغيرةِ عبثاً وهو يعلم انه لا يستخدم السكر ولكنه يراقب هذه الحركة ... تدوير الشاي في القدح أمامه كأنها تُدَور الاحداث في ذهنه ليستعيدها ...

ارتشف قليلاً من الشاي واستمتعَ بمرارتهِ فأنها لم تكن أمر من الأحداثِ والمواقف المرةِ التي شهدها خلال السنين التي انقضتْ من عمره ...

وأخذ يقارن بين أيامٍ مضتْ وايامٍ حلتْ ... أيام كان الخيرُ والغيرة والشهامة وعفة النفس والصدق والوفاء والإخلاص والفداء ناموسها، وأيام أصبح الشرُ والفساد بكل أشكالهِ دستورها ... ما الذي جرى وماذا دهى هذا الزمان ... عفوا، إنه ليس الزمان بل هو الإنسان ... الإنسانُ هو الذي تغير، البعضُ من الناسِ هم الذين تغيروا ولبسوا غير ثيابهم واستبدلوا ثيابَ الطهرِ والعفةِ بثيابِ العهرِ والدناءةِ ... وأخذ يردد شعراً للإمام الشافعي ...

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا وما لزمانِنا عيبٌ سوانا
ونهجو ذا الزمان بغيرِ ذنبٍ ولو نطقَ الزمانُ لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحمَ ذئبٍ ويأكل بعضُنا بعضاً عيانا

تنهد حسرةً لأيامِ الخيرِ، أيامِ الراحةِ النفسيةِ ... وحنينه الى تلك الأيام لا يغادره، ارتشفَ قليلاً من الشاي ثم أغمضَ عينيه تاركاً فكرَه يستعيد ذكرياتِ أيامهِ الجميلةِ،

لم تمضي على حالتِهِ هذه سوى بضعُ دقائق وإذا بأيادٍ ناعمةٍ صغيرةٍ تحيط به من كل جانبٍ، واصوات كتغريدِ البلابلِ تناديه ... جدو.. جدو.. جدو ... فتح عينيهِ وإذا بأحفادهِ حولهُ ... محمد، رؤيا، غنى، سمار، يوسف، زيد ، حيدر ، على ، وقد تجمعوا حوله جالسين على المرجِ الأخضرِ، ابتسم لهم واحتضنهم وقال ... عيون جدو ... اطلبوا ما تحبون

اجابوا بصوت واحد ...

- **احكي لنا قصةً من قصصِك الحلوةِ، قصةً من أيامِ الزمنِ الجميلِ كما تسميهِ أنت دائما ...**
- **من عيوني احبابي ... رد عليهم الجدُ صبري ... وقال اسمعوا اولادي ...**

في زمانِنا لم تكن هناك نوادي كما نشاهدها الان ولم تكن الهواتف الذكيةِ التي جعلت افراد العائلةَ متفرقين رغم وجودهم في صالةٍ واحدةٍ ولم تكن الثلاجات ولا البرادات كما نراها اليوم ولم تكن الأسواق الكبيرةِ ولا المولات، وكانت العائلةُ تتسوق من الدكاكينِ كل يومٍ ما تحتاجه ليومِها... أما الاحياء السكنية، وكان الحيُ يسمى ... محلة ... تجدها متكاملةً لكل ما تحتاجه العائلة لقوتِ يومها، فتجد فيها البقالَ، والقصابَ، والعطار، ودكان بيع الحبوب والسمن الحر، والنجار والحداد ضمن رقعةِ الحي وحوله ...

أخذ صبري رشفةً من قدحِ الشاي واسترسل قائلاً ...

اما النوادي ... فكان في كلِ محلةٍ قهوة وتسمى (كهوة الطرف) أي مقهى المحلة وكانت هذه المقهى مقرَ تجمع كبار السن ورجال المحلة يتبادلون الاحاديث القيمة وكانت كمجلسٍ لتبادلِ الآراء وفض المشاكل

والخلافات بين أبناء الحي، وما اقلها، وكانت تلك المقهى مجلساً يتعلم منها الصغيرُ من الكبيرِ ... وكما يقول المثل، المجالسُ مدارس ... سأقص لكم قصةً حكاها لي ابي، رحمه الله، عن احدى المقاهي في احد الاحياء البغدادية العريقة وكان صاحب المقهى الحاج ابراهيم يجلس امام منضدة في مدخلِ المقهى وامامه صحن كبير، يضع فيه الزبون ثمن مشروباته دون ان يدقق معه الحاج إبراهيم ... لأن الثقةَ والمروءة والنزاهة من سمات ذاك الزمان، والحاج إبراهيم كان دائما يتفقد روادَ مقهاه فهو يعرفهم جيدا، ولا غرابة في الامر فهم جميعا أبناء محلةٍ واحدةٍ متكافلين متضامنين يشد أزرَ بعضهم بعضا...

دخل محمود المقهى، وهو رجلٌ في مقتبلِ العمرِ ميسور الحالِ، وسلم على الحاضرين وردوا عليه السلام ورحبوا به أجملَ ترحيب...

جلس محمود بجانب الحاج إبراهيم وهو مكانه المفضل يتجاذبون أطراف الحديث ..... ولاحظ محمود ان جارَه (أبوعبد الرزاق) جالساً وحده على غير عادته وامامه قدح الشاي يدور فيه الشاي بين دقيقة وأخرى، فسأل الحاج إبراهيم...

- **ما بال اخينا أبو عبد الرزاق انه على غير عادتهِ ...**
- **لقد وضع كل مدخراته في تجارة وخسرها وهو الآن في حيرةٍ، كيف يعيل عائلتَه وأولاده..**
- **ها ... اذن هذا السبب، انما الرزق على الله، ومن يتق الله يجد له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأبو عبد الرزاق رجل تقي نقي ودائما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر..**

استأذن محمود من الحاج إبراهيم قائلا..

- **يظهر والله أعلم كبرنا وأصبح النسيان رفيقنا، نسيت حاجةً بسيطةً للبيتِ وسأعود بعد قليل ...**

- رافقتك السلامة، بانتظارك لنشرب القهوةَ سوية ...

خرج محمود مسرعاً وعاد بعد نصفِ ساعةٍ وسلم على الحضورِ ثم شرب القهوةَ مع الحاج إبراهيم، واستأذن منه لكي يسلم على أبي عبد الرزاق والذي كان على حالته ... تسند يدُه رأسَه، وقدح الشاي لا يزال كما هو امامه ...

- السلام عليكم أبو عبد الرزاق كيف الحال
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، اعتدل بجلسته واستطرد قائلا ...
- الحمد لله والشكر بخير

قال محمود ...

- أبو عبد الرزاق اتيتك بطلب وارجو أن تعينني عليه وانت خير المعين بعد الله للناس ...
- وانا بخدمتك اخي محمود عليك الأمر وعليّ الطاعة

اعتدل أبو عبد الرزاق بجلسته وقال كلي أذان صاغية تفضل قل..

- أبو عبد الرزاق انا نويت على سفرٍ وإن شاء الله ييسرها لي، وانت تعلم أن العائلة ما لهم من بعد الله غيري وغيركم ... وعندي مبلغاً من المالِ أخاف ان يضيع في غيابي او يُسرق، وإني ارجو منك أن تحفظه عندك لحين عودتي من السفر ان تيسرت إن شاء الله ...
- تأمر اخي محمود

مد محمود يدَه الى جيبهِ واخرج منه كيساً وقال ...

- هذه خمسون ليرة ذهبية في هذا الكيس، احفظها لي عندك جزاك الله عني كل خيرا ...

ثم استطرد محمود قائلا ...

- هذه مدخراتي وموفرها من زمن وبالمناسبة انا لست بحاجة لها حتى وان تصرفت بها انت ...

سلمه الكيس دون ان يلاحظه أحد واخفاه أبو عبد الرزاق دون ان يلاحظه أحد، ثم استأذنه ورجع الى مكانه قرب الحاج إبراهيم ...

وهنا قال احفاده، جدو... ولماذا لم يقل له انها لمساعدتك ولماذا لم يأخذ منه أيصالاً بالمبلغ ولماذا لم يُشهد عليه أحد؟ ابتسم صبري واحتضن احفاده وقبلهم وقال..

- **ما أراد محمود ان يشعره بانه محتاجاً حتى لا يجرح كرامتَه، لأن ذلك زماننا الجميل وفيه كلمة الرجل اقوى من أي ميثاق، انه زمن الخير...**

واستطرد صبري قائلا، والآن اتركوني لارتاح قليلا واذهبوا والعبوا في الحديقة ....

قالوا جميعا بشرط تسمعنا قصة جديدة من أيام الزمن الجميل، ثم انطلقوا يلعبون في حديقة الدار كطيور مرحة يراقبهم قلبُه قبل عينيه ...

حلمٌ ضائع

حلمٌ ضائع

استيقظ كعادتِهِ مبكراً ... رغم سهره الليلَ بطولِهِ هاجراً النوم ... فكان في حالةٍ قلقةٍ مؤلمةٍ ما إن تغمض عيناهُ تعباً حتى ينتبه فزعاً وأفكارُهُ تصارعه ويصارعها دون جدوى ... أعد قدحاً من القهوةِ وجلس يحتسي قهوتَهُ... ترافقه وحدتُه وآلامُه وحنينه الى أيامٍ خلت كان يعيشها بسعادة ... ويحلم باكتمال سعادته بلقائها ... تلك الغادةُ السمراء التي أحبها وأحبته ... ولكن الظروف القاسية في هذه الدنيا باعدت بينهما وبلا سبب... سرح بخياله تتقاذفه الهواجس وتعصف بفكره تساؤلات كثيرة.. ما حل بها ... اين هي الآن ... هل هي بخير ... هل هي سعيدة ... ولا يدري كم بقى على حالته هذه

مد يده الى قدحِ القهوة فإذا به بارداً كالثلج ... تركه على الطاولة وخرج من البيت يمشي على غير هدى حتى وجد

نفسه في موقف حافلة نقل الركاب ... تذكر أن عليه ان يحضر دواءه من الصيدلية فقرر ان ينتظر الحافلة للذهاب الى الصيدلية لإحضاره ... وجلس على مقعد بجوار سيدة كبيرة ... وأغمض عينيه المتعبتين، وأخذ يستعيد ذكرياته ... وهو سارح بأفكاره صعد الى الحافلة بعد انتظار ممل وسارت به ... وقبل أن يصل الى الصيدلية وجد نفسه أمام الكافيتريا التي كان يرتادها مع غادته السمراء ... نسى الصيدلية ونسى الدواء ... وسارع بالنزول من الحافلة ودلف الى الكافيتريا متلهفا لاستعادة ذكرى تلك الأيام الجميلة ... وتهالك على كرسي في الركن المفضل لهما ... فإذا بغادته السمراء جالسة هناك ... وبادرته بقولها ....

- أين أنت لقد قلقت عليك ... أتعلم كم مضى عليّ وأنا أنتظرك ...

فأجاب متذرعا بالمواصلات ومشاكلها، وهو مندهشا مستغربا ... ثم جلسا يحتسيا شرابهما المفضل، عصير

الرمان، ويتبادلان أحاديث الشوق والهوى وألم البعاد ... وكلما يسألها أين كانت كل هذه المدة ولم كان الفراق، كانت تنتقل بحديثها الى موضوع آخر ... فهي بارعة بتغيير مجرى الحديث بلباقة وذكاء ...

وكعادته وهي تسترسل بحديثها الشيق، كان ينظر الى تلك العينيين الساحرتين ويغرق في بحرهما ... وكانت كعادتها كلما يسرح هكذا تمد يدها وتربت على يده برفق وبرقتها المعهودة وتقول مبتسمة... لا تسرح ... كفى الأبحار في بحر العيون، أخاف عليك أن تغرق وتتركني وحيدة ... ينتبه ويشاركها الحديث ويسرح ثانية، ومن ثم ينتبه على لمسة يدها الرقيقة وكلماتها العذبة ... ثم يسرح ثانية ... وهو بحالته هذه، إذا بصوت يناديه ويد تهز كتفه..

- **اصح يا رجل، هل نمت؟ يظهر أنت متعب جدا ... لقد وصلت الحافلة ... وانتبه على صوت السيدة الكبيرة التي بجانبه في موقف الحافلة تخبره بوصولها ...**

تنهد وحبس الدموع في عينيه وصعد الحافلة ذاهبا الى الصيدلية ترافقه وحدته وآلامه وحنينه الى حلمه الضائع ...

السعادة شبح

السعادة شبح

استيقظ مبكرا على غير عادته، فاليوم هو موعد استلام راتب التقاعد ... ويكفي مجرد التفكير بهذا اليوم أن يولد عنده ضجرا وحيرة تدوم لأيام ... فأخذ يقلب أوراقه وكتبه حيث كان يلجأ إليها كلما ينتابه ضجر أو يشعر بتعاسة...ومن بين الأسطر وقع نظره على بيت من الشعر لشاعر يجهل اسمه يقول ....

وما السعادة في الدنيا سوى شبحٍ

يرجى فإن صار جسما مله البشر

وأخذ يرددها بهدوء مع نفسه، وهو يتهيأ للخروج، وهل هذا صحيح ...؟ إن من حق الإنسان أن يحصل على السعادة، ومن حقه أن يتمنى ويسعى لتحقيق أمنياته ... نعم إن الأشياء

التـي يتمناهـا الإنسـان فـي حياتـه كثيـرة.. وكثيـرة هـي مشـاكل الدنيا التي يواجهها الإنسان كذلك ...إن كل فرد في هذه الدنيا يحلم ويسعى لتحقيق أحلامه ويتمنى أن تتحقق بسرعة ...إن صادفته مشكلة ما فيتمنى لو لم تكن ... أو ربما لو تحل هكذا أو هكذا ...

وهو بانتظار حافلة نقل الركاب ليعود الى داره البسيطة يرى سيارات الأجرة تمر من أمامه ولا يحاول أن يوقف واحدة منها حيث ما معه من أكياس الخضروات البسيطة والتي أرهقته بحملها، قد أتت على معظم راتبه رغم قلتها.... وبعد انتظار ممل وطويل وصلت الحافلة وصعد شاقا طريقه بصعوبة بين العشرات من الركاب فتعلق قميصه بكوع أحد الركاب قاطعا زراره فتلقفه قبل أن يسقط ووضعه في جيبه ... المواصلات معاناة ومشكلة ... فيحلم لو عنده سيارة صغيرة لتنتهي أتعابه ... ولماذا صغيرة؟ .... لماذا لا تكون سيارة كبيرة فارهة جديدة؟ ... عند الله تعالى ليس صعبا وليس ببعيد

... وعند وصوله الى داره البسيطة تنهال عليه المشاكل، الغاز نفد ... والمدفأة الوحيدة بحاجة الى تنظيف وتهيئة، والمبردة اليتيمة ... هل تم تنظيفها جيدا وحفظها بشكل سليم؟ ... فيطير في عالم أحلامه ... ماذا لو كانت لديه دار متكاملة لا يوجد فيها نقص ... ولو كان لديه عدد من المساعدين والخدم ليقوموا بدله بهذه الأعمال، أليس ذلك من المستلزمات التي توصل الإنسان الى السعادة... السعادة إنها الغاية التي ينشدها كل إنسان... آه ... لو أحصل عليها ...

خلع قميصه وتناول خيطا وإبرة مادا يده الى جيبه ليأخذ الزرار المقطوع ليخيطه بمحله فسقطت ورقة من جيبه ... فتحها فإذا بها بطاقة اليانصيب التي اشتراها قبل أسابيع ... فيدمدم مع نفسه مستهزئا ... وهل أنا من أصحاب الحظوظ لأفوز باليانصيب ... إن شرائي للبطاقة كانت فكرة خرقاء ... ولكن ربما من يدري ....

وهو مسترسل في خياطة زرار قميصه المقطوع ... محلقا في عالم أحلامه ... إذا بباب الدار يطرق بشدة وينتبه على صوت صديق له يبشره بفوزه بالجائزة الأولى في اليانصيب ...فإذا به بين ليلة وأخرى ذلك الغني صاحب القصر الشامخ والسيارات الفارهة وحوله الخدم والحشم يسرعون لتلبية أوامره وتحقيق رغباته ... يأمر وينهي كما يحب ويشتهي ... وفي كل يوم تراوده أفكار جديدة ... هل سيبقى بهذه السيارة أم يستبدلها بأخرى؟ ماذا ستكون قائمة الطعام اليوم؟ كيف سيرعى شؤون القصر الضخم؟ ... إن مشاكل العمال والخدم بدأت تتعبه ...ثم عليه أن يرعى ثروته ...كيف ينميها؟ ... إن الصفقة السابقة في هذا الموسم لم تحقق له الربح الذي كان في حساباته ... والصفقة الثانية اختلف فيها مع الشركاء والبائع والمشتري ... أما الصفقة الثالثة فقد تحققت فيها خسارة فادحة ... والمزارع كيف لم تحقق الحاصل الذي سبق أن حققته في العام الماضي؟ ... إنه حقا عدم التزام الفلاحين،

وعدم رعايتهم للأرض، وعدم خدمتهم للمزروعات ... آه ... إنه يحس بأن ضغطه قد ارتفع ويشعر بالإغماء ... لعن الله الثراء والمال ...ياربي ... إنه يحس بصدره ينقبض.. ونفسه يختنق ... الطبيب ... أسرعوا الطبيب ... بالله عليكم ... الطبيب ... وسارع الطبيب لعلاجه.. أسرعوا.. أعطوه هذه الحبة تحت اللسان ... ياربي ... لا فائدة سيضيع منا ... هيئوا له الإبرة ... لا بد من زرقه بالإبرة لعلاجه وإنقاذ حياته ... آه ... وصرخة عظيمة لقد وخز نفسه بالإبرة التي كان يخيط بها زرار قميصه ... فعاد الى عالمه الحقيقي ... وانتبه لنفسه وحمد الله، وقال رحم الله الشاعر القائل:

وما السعادة في الدنيا سوى شبح

يرجى فإن صار جسما ملَّه البشرُ

إنه باقٍ وهم الزائلون

إنـه باقٍ وهم الزائلون

كان يسير بخطى ثابتة مرفوع الرأس عالي الهمة يضرب الأرض بقدميه بنشاط وحيوية وكأنه في الثلاثين من عمره رغم أنه قد تجاوز الستين، وتراه كأنه يسابق السنين التي سبقته. هذه هي رياضته اليومية، حسب نصيحة الأطباء، فإن المشي هو أحسن رياضة للذين في عمره، وفي كل يوم من مسيرته هذه تمر أمامه صور وحوادث ويسمع قصصا وأحاديث بعضها طبيعية مفرحة تبشر بان الدنيا لا تزال بخير وبعضها شاذة بالنسبة إليه ومحزنة تجعله يحس أنه غريب بين أهله وأنه يعيش في عصرغيرعصره... فهذا سائق يتمهل في سيره مؤشرا للسيارات خلفه أن تقف حيث

أمامه امرأة عجوز تعبر الشارع، وذلك آخر يتسابق بين أطفال بحقائبهم المدرسية يعبرون من منطقة العبور على الرغم من أن إشارة المرور الحمراء أمامه، وهذا بائع يسعى جاهدا أن يزن بالقسطاس لزبون له، وذلك آخر لديه أوزان يبيع بها وأخرى يشتري بها وثالثة يقدمها لمسؤولي الرقابة للفحص والتدقيق، وهذا عامل في محطة خدمية يستقبلك بتحية جميلة وابتسامة أجمل ، ويقوم بواجبه على أكمل وجه ولا يتقاضى منك سوى حقه وذاك آخر يقف متفرجا متجهما وانت تقوم بواجبه ثم يزمجر في وجهك مطالبا بالإكرامية ، وهذا تاجر أمامه بضاعة جيدة وسعرها مناسب بالنسبة للسوق وبربحه المنصف ، وآخر أمامه بضاعة مغشوشة فاسدة وكتاب يقسم به بأعظم الأيمان بأنها بضاعة جيدة وأنه يبيعها بكلفتها وهو يعلم أنه يكذب ويعلم إننا نعلم ذلك ... سبحان الله ... له في خلقه شؤون، ومن هذه الصور الكثير الكثير تمر أمامه ويتذكر أيامه التي مرت وكيف كان الخطأ

فيها شاذا واليوم كيف أصبح الحق فيها شاذا، إنها الضمائر فليس من رقيب على الإنسان بعد الله إلا ضميره فإن مات الضمير مات صاحبه وإن كان حيا .. أخذ صوته يعلو وهو يدمدم مع نفسه، هل أصبحت هذه الدنيا غابة يفترس القوي فيها الضعيف، ولكن مهلا حتى وحوش الغابة لا تقتل ولا تفترس لهوا ولعبا أو كرها وحقدا، بل لحماية صغارها أو لتؤمن لهم الطعام، هل حقا أصبحت ضمائر وحوش الغابة حية تحس وضمائر البعض من البشر ميتة بلا إحساس ..إن الدنيا تقوم ولا تقعد لإنقاذ طفلة مريضة بحاجة لقلب أو لكلية أو لمعالجة فيل مريض في حديقة الحيوان، ولكن ما من عمل جاد لإنقاذ الألوف من الأطفال الذين يحصدهم موت الحصار في بلد كل ذنبه أنه قال لا لمن أراد أن يستعبده ويستعبد أهله وأشقائه...والأشقاء في سبات يغطون أو في شبه يقظة يمسحون عيونهم التي يغالبها النعاس يتفرجون وأشدهم يقظة ووطنية هو الذي يشير من بعيد بعدم عدالة هذا الوضع

ويطلب حلا ، والحل أولا وآخرا بأيديهم، ولو أرادوا لرفع الحصار يوم فرض، ولكن هل يغضبون أصدقائهم ومستعبديهم؟

ولماذا يغضبونهم ويد العدوان التي تضرب هذا البلد تنطلق من أراضيهم..

إنه يدمدم مع نفسه وصوته يرتفع أعلى وأعلى ربما يظنه من يراه وهو يكلم نفسه أنه مجنون، نعم كيف لا وهو يسمع بإنسان من بلد معاد يتحرك ضميره الإنساني ليرفض الحصار ويلعن من فرضه ويتحرك من عاصمة العدوان بحافلة يجول بها في بلدان ومدن ليصل ههنا منددا بالحصار وبمن فرضه ... والأشقاء في سباتهم ينعمون وكأن هذا البلد لم يفتح صدره يوما ليحميهم كلما تعرضوا لعدوان.. وكأنه لم يقتطع من قوته ليعطيهم كلما تعرضوا لأزمة، وكأنه لم يسرقوه يوم كان يقف أبنائه درعا يذود عنهم مشغولا بالدفاع عن الأرض والعرض، وهم يسرفون ما يسرقون على موائد

الخمر والميسر في دور الرذيلة في بلد العدوان، أهكذا الغدر والنكران، أهي العروبة والإسلام... إن صوته أصبح أعلى من ذي قبل، حتى أصبح مسموعا لمن حوله، وهو يقول، ولكن العروبة باقية والإسلام الذي اهتدت به أمم وشعوب باق وهذا البلد المحاصر باق، نعم باق بحضارته بعروبته بإنسانيته بإسلامه باق ... باق وصامد ... صامد.. وأنتم أيها النائمون زائلون أنتم ومستعبدوكم.. زائلون ... زائلون ... فانتبه لنفسه فإذا هو أمام داره وحوله أهل بيته وجيرانه وهم يرددون معه ... صدقت صدقت إن العراق باق وهم الزائلون ...

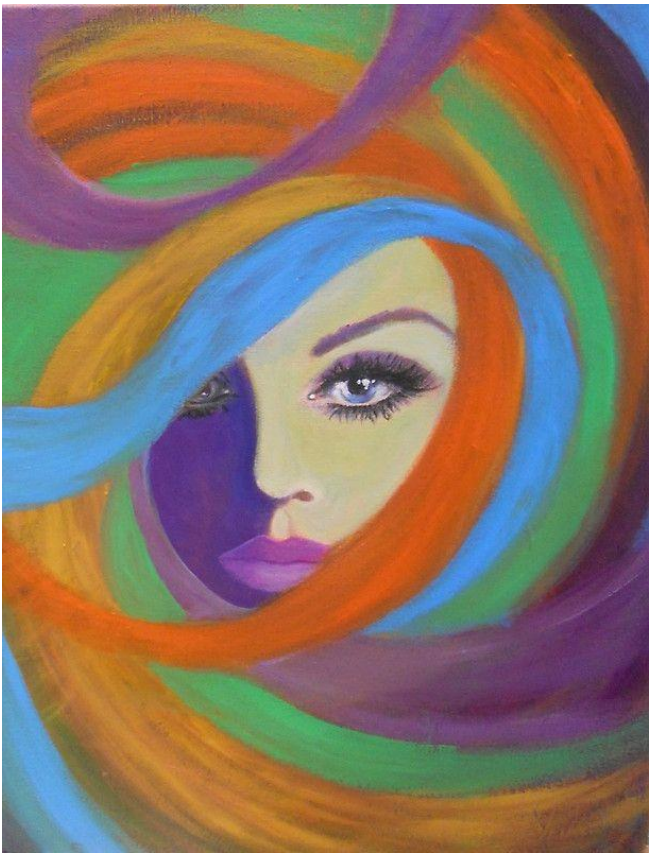

لقاء من خيال عاشق

لقاء من خيال عاشق

لقد استيقظت يوم الجمعة صباحا مبكرا.. كنت مكتئبا تعبا ... لا أدري ما السبب ... ربما تعب العمل، لست أدري... خرجت إلى الحديقة ومعي كتاب.. محاولا أن أطرد التعب والضجر بالقراءة ... ولكن دون جدوى ...فكلما أحاول أن أقرا تتراقص أمامي وعلى صفحات الكتاب كلمات رسائلك فيشرد البال وينعدم التركيز... انتظرت حتى بدا الشارع في حينا يدب بالحركة، فارتديت ملابسي وركبت سيارتي ورحت أسوق على غير هدى ... حتى وجدت نفسي امام كافتيريا تقدم العصائر... أركنت السيارة ... ودخلت وطلبت قدحين من عصير الرمان .... نظر لي النادل مستغربا فأجبته بابتسامة حزينة ... الضجر والاكتئاب لا يزالان معي ... عدت إلى

السيارة ورحت أسوق حتى وجدت نفسي في نادي العلوية والساعة تقارب الثانية عشرة ظهرا ... دخلت القاعة الشمسية وارتميت على كرسي في ركني المفضل بجوار النافذة المطلة على حديقة النادي... ورحت أقلب أوراقي وأقرأ ...وأكتب إليك ما يجول بخاطري ووجداني ... هذا هو مكاني الذي كنت أهرب إليه كلما اريد الاختلاء بنفسي ... ألتمس الهدوء حيث يجعلني أحلق في أجواء الكتب والشعر... قاربت الساعة الواحدة وأحسست بالجوع فقد خرجت صباحا دون أن أتناول فطوري.. دخلت قاعة الطعام وكانت مزدحمة ... فاليوم الجمعة وكثير من العائلات ترتاده في أيام الجمع والعطل.. اتخذت مكاني وحيدا في ركن بعيد... وكنت أشعر بالوحدة رغم الناس من حولي ... ولكن كان على الكرسي الذي أمامي ... والذي يراه غيري فارغا ... كنت أنت نتحدث دون كلام ... ونتبادل الشوق والحنين والشكوى دون صوت ... وشاركتني طعامي ... وكنت ترددين معي أحلى كلمة

قرأتها لك وهي... (دعيني بقربك دعيني) كلمات تنساب في خاطري لحنا جميلا شجياً وتغريدة بلبل عند الفجر وهديل حمام ينادي أليفه... وتراني ابتسم تارة ويرتسم على وجهي الجد تارة أخرى... انسجاما مع الحديث الذي نشترك به ... ومع النجوى التي نتهامس بها ... ربما من ينتبه علي وأنا بهذه الحالة لظن اني مجنون... لا يهم ما يظن بي من حولي ... المهم أنني معك بتلك اللحظات السعيدة ... أحسست عندها أن التعب كل التعب ... والضجر كل الضجر ... قد زال عني ... وأنا في هذا الفردوس الذي فيه.. انتبهت على صوت النادل وهو يقول (عفوا أستاذ هل تحب شيئاً من الحلوى، أم شأيا أو قهوة؟) ... (لا شكرا) ... قلت له... ثم دفعت قائمة الحساب

وشكرته ثانية ... وغادرت النادي ويدي بيدك ... لأوصلك إلى البيت ... وأنا أهمس في أذنك ما كتبته لك عندما كنت في القاعة الشمسية:

دعيني بقربك أشدو دعيني

غريقا ببحر العيون دعيني

أصوغُ لعينيكِ شعراً دعيني

مدادُ يراعي نزيفُ عيوني

دموعُ الفراقِ حروفُ شجوني

وأبيات شعري أليكِ حنيني

بعادك يا توأمَ الروحِ بيني

وصالك والشوقُ يشفي أنيني

يقيني بربِ السماءِ يقيني

سألقاكِ والحبُ يروي سنيني

ثم ودعتك ... ورجعت الى بيتي ترافقني اشواقي اليك وحنيني الى لقياك ....

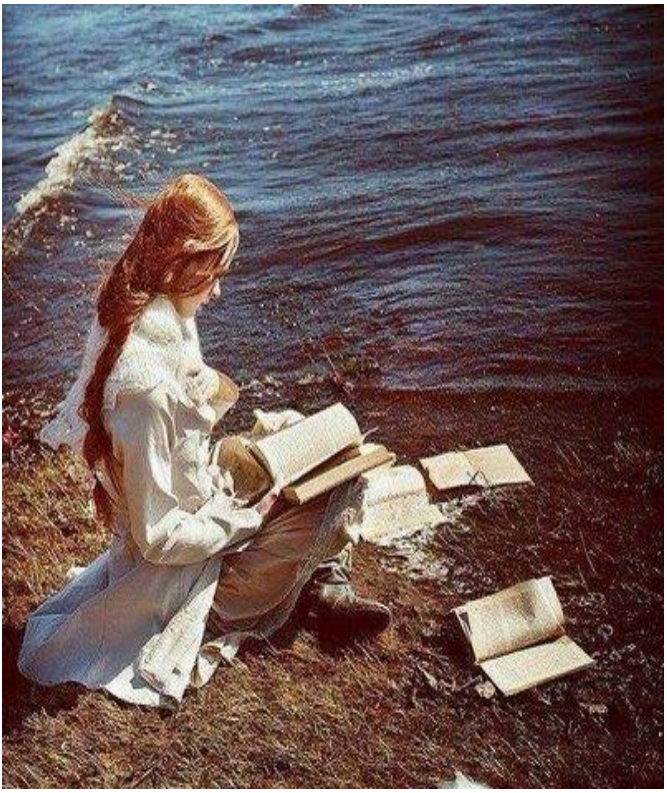

هل هي بوادر الجنون؟

هل هي بوادر الجنون؟

بعد يوم عمل متعب وطويل ... رجعت الى غرفتي في الفندق مساء لأستريح ... ارتميت على السرير وفي لحظات غرقت في نوم عميق ... لا أدر كم مضى عليّ نائما ... ولكني انتبهت على طرق خفيف على الباب ...نهضت وفتحت الباب... إذا بها واقفة امامي بطلعتها البهية وابتسامتها العذبة ... وعليها علامات القلق ... خيرا حبيبتي ما بك؟ ... سألتها مندهشا ... فقالت إنه الألم يا صديقي الحنون ... لم أستطع النوم من شدة الألم الذي أعانيه ... تعجبت كيف وصلت لي وهي في بلد بعيد جدا ...ولكني اسرعت وأخذت بيدها ... ثم اجلستها بجانبي .... سقيتها كأسا من الماء البارد

... وتركت رأسها المتعب ليتوسد صدري...اخذت اربت على كتفها وانا أردد لها ترنيمة كالأم الحنون التي تنوم وليدها.. حتى استغرقت في نومها ... بقيت انا جالسا يقظا ساكنا ورأسها على صدري اراقب تنفسها الهادئ دون ان اتحرك... لم اتحرك حتى لأضع راسها على الوسادة بجانبي خشية ان اقلق نومها وخشية ان تستيقظ إذا ما تحركت ... وهكذا بقيت حتى الصباح ويظهر أني نمت وأنا على حالتي هذه .... ثم استيقظت لأتفقدها ... ولكن ما هذا؟وجدت نفسي وحيدا ... ولم أجد حبيبتي ... خرجت مسرعا الى رواق الفندق اتلفت يمينا ويسارا ... لا أحد ... رحماك يا ربي رحماك هل هي بوادر الجنون ...لست أدري ...

آمال ممزقة

آمال ممزقة

في صباح يوم جميل وفي كافتيريا مينوتي الإيطالية في هيوستن الواقعة على ناصية تقاطع شارع ويستهايمر مع شارع فوندرن، دخل الشيخ صبري متوكأ على عكازه حيث تعرض لحادث تسبب له بكسر اقعده في المستشفى فترة طويلة ... تهالك على كرسيه المفضل في ركنه المفضل من الكافتيريا التي انقطع عنها بسبب الحادثة التي تعرض لها وطلب شرابه المفضل عصير البرتقال الطبيعي، وضع تلفونه النقال على المنضدة ووضع كتابا له لمراجعته وأوراقه وقلمه، ارتشف قليلا من العصير وحاول ان يكتب شيئا فان القراءة والكتابة ملاذه الأول والأخير لتمضية وقت فراغه، رن الهاتف منبها ان هنالك رسالة تناول الهاتف فوجد على موقع التواصل الاجتماعي طلبا للصداقة من فتاة تسمي

نفسها آمال ممزقة تملكني الفضول ودخلت على صفحتها لأعرف عنها شيئا، لم اجد شيئا وبدافع الفضول وافقت على طلبه ثم تلقيت منها رسالة على المسنجر ودار بيننا هذا الحديث:

- **شكرا أستاذ صبري لقبولك طلبي انا فاطمة من السودان ومتابعة لمنشوراتك واكاد اعرفك من خلالها**
- **اهلا وسهلا ابنتي الكريمة تفضلي بخدمتك**
- **قد تكون تستغرب للاسم الذي اعتمدته في موقع التواصل الاجتماعي وربما تستغرب أكثر لما اطلبه منك ولماذا اخترتك انت بالذات**
- **ان وضحت السبب يا ابنتي سيبطل العجب ولأكون صريحا معك ابنتي انا رجل كبير قد تجاوز السبعين من عمره حتى لا تروحي بأفكارك بعيدا**
- **هههههه اعرف ذلك وصفحتك فيها معلوماتك بكل صدق وصراحة ولذلك طلبت ان اتحادث معك فان على**

صدري هموم تكاد تقصم ظهري، لا أستطيع البوح بها لاحد ولا أستطيع ان اكتمها، ساعدني بسماع قصتي وانت كاتب وشاعر ارجوك اكتب قصتي

- **لا اوعدك بشيء ولكني سأحاول ان البي طلبك تفضلي كلي آذان صاغية ...**

شكرتني وبدأت تكتب لي وانا اكاد ان أرى الدموع والحزن والآهات من بين كلماتها ...

بدأت أفكر بهذه المسكينة وكيف ابدا قصتها وانا لست محترفا ولكني هاو، والهواة لا يحسنون الكتابة ان لم يعيشوا احداثها ...

إن جميع الأسماء التي جاءت في القصة أسماء مستعارة وكذلك اسم فاطمة وقد رتبت الاحداث بما لا يمت بالصلة من بعيد او قريب الى صاحبة القصة التي لم اقابلها ولم اراها سوى سمعت صوتها الحزين عندما اتصلت بي

لتشكرني لسماع قصتها قائلة لقد ازيح عن صدري عبأ كبيرا...

وهذه حكايتها وآمل أنى قد وفيت بوعدي لها ....

****

بانت تباشير الفجر وقبل ان تستيقظ الشمس من سباتها لتبعث خيوطها محملة بالنور والدفء على دارفور تلك الأرض في جنوب السودان ... نهضت أم فاطمة كعادتها كل يوم بنشاطها المعهود ... توضأت وصلت الفجر واخذت تعد لأفراد عائلتها طعام الإفطار ... دلفت الى غرفة ابنتها الحبيبة فاطمة ورأتها لا تزال نائمة ... قبلتها بحنان وربتت برقة على صدرها لتوقظها .... فاطمة حبيبتي انهضي وتحضري لتفطري وتذهبي الى المدرسة ... نهضت فاطمة وتعلقت بجيد أمها وقبلتها ثم حملتها أمها الى صنبور الماء لتغسل يديها

ووجهها ثم اجلستها امامها لتظفر شعرها جديلتين جميلتين لفتاة أجمل ...

فاطمة ذات الستة أعوام طفلة تحب الوحدة، تخاف الزحمة، تحب اللعب في ضوء القمر ... ولا خبرة لها في الحياة ولا تعرف شيئا سوى البيت والمدرسة والطريق الواصل بينهما، ولكنها مفعمة بالحيوية والنشاط وبآمال وردية تحلم بتحقيقها ...

سمعت وقع اقدام والدها فارتجفت واحتمت بحضن أمها ... دخل ابوها وقال بدون ان يسلم: هل انت جاهزة للذهاب الى المدرسة؟ فاطمة انتبهي لا اريد صداقات مع أي من زميلاتك لا كلام ولا حديث تكملين دوامك في المدرسة وتعودين فورا الى البيت مفهوم ... فاطمة، لقد قلت ذلك واعيده عليك كل يوم حتى لا تنسين واضح ... اجابت وبصوت مرتجف مفهوم وواضح والتصقت بحضن أمها أكثر ... خرج ابوها ... وتنفست بارتياح واسرعت الى المدرسة ...

أكملت فاطمة مرحلة الدراسة الأولية والابتدائية وكانت دائما المتفوقة على اقرانها وترتيبها الأول وان أصبح الثاني تحزن ولكن ان أصبح ترتيبها الثالث تثور وتغضب وتمزق النتيجة، كانت لا تعرف شيئا سوى التفوق في الدراسة والبيت والمدرسة والطريق بينهما وشبح ابيها المرعب والخوف المرافق لها في كل خطوة تخطوها، لا معارف ولا صديقات من المدرسة ولا تفهم شيئا من أمور الحياة واسرارها ...

أصبحت فاطمة الان على أبواب الدراسة المتوسطة وكذلك أصبحت تلك الفتاة اليافعة الجميلة ذات الأربعة عشر ربيعا، وبسبب عدم توفر المعلمين للمرحلة المتوسطة قرر ابوها ان يرسلها الى البلدة المجاورة حيث تتوفر إمكانيات الدراسة لتلك المرحلة، وأرسلها هناك حيث تعيش قريبة لأبيها وكان يرسل مصروفها بداية كل شهر ... وتزامن ذلك مع فترة بلوغها وتعرضها لتغيرات ما كانت تفهمها حتى كادت تضن انها على وشك الموت ولا تدري لمن تلجأ وتستشير فأمها

بعيدة عنها وقريبة ابيها تسيئ معاملتها تظهر لأبيها العطف والحنان لفاطمة بداية كل شهر عند استلامها المصروف منه وعند مغادرته تعود قريبة ابيها للمعاملة السيئة ... أصبحت فاطمة تعيش بين رعب ورعب، الخوف من ابيها والخوف من هذه المرأة السيئة والخوف من حالتها الصحية التي لم تعرف لها تفسيرا حتى مرت واستقرت وفهمت انها حالة طبيعية ...

أبو فاطمة مشغول بالسياسة، كثير السفر والغياب، مهمل لبيته وأولاده، ولا من مرشد لهم ولا راع... فكرست فاطمة جهدها للدراسة ومن بين تلك الظروف الصعبة كان دائما من ضمن الخمسة الأوائل في المدرسة ...

امتحنت فاطمة ورجعت لأسرتها الكبيرة، وبعد بضعة أسابيع، أعلنت نتائج شهادة الأساس وهي كانت ضمن الناجحين الأوائل كعادتها اذ أحرزت على معدل 90% ومع هذه الدرجة العالية كانت غير راضية لأنها كانت تطمح ان

تحصل الأعلى من ذلك،ولكن المهم اسعدت اسرتها بتفوقها هذا...

في بداية موسم الدراسة سافرت إلى مدينة مجاورة حيث توجد فيها مدارس للمرحلة الإعدادية لتواصل الدراسة، كانت فرحة جدا، وفرحت لأنها ستقيم ببيت عمتها وأنها تخلصت من تلك القريبة السيئة، استقبلتها العمة بكل ترحاب وكانت سعيدة بالإقامة معها ... وتحمد الله انها وجدت البيت الهادئ والصدر الحنون، ولكن فرحتها ما استمرت .... بعد بضعة شهور لاحظت فاطمة تغيرا تدريجيا بمعاملة عمتها لها ولا تعرف لذلك سببا ... وأصبح تعامل العمة يسير من سيئ الى أسوأ ...

لا يسمح لها بالاستحمام الا مرة بالأسبوع اقتصادا بالمياه والطعام وجبة قليلة ونوع واحد، ومعجون الاسنان من بقايا صابون الغسيل ان توفر لها ذلك ... ثم اخذت العمة تخفي الطعام ومستلزماته في غرفة نومها وتقفلها...

فاطمة الآن وهي في ربيعها الخامس عشر في حالة نفسية قلقة غير مستقرة تتقلب من حالة غضب وثورة لا تستطيع ان تجهرها، الى حالة خوف يكاد ان يشل حركتها، الى أفكار مشوشة لا تفسير لها ولا تفهمها، لا أحد يسأل عنها أو يفكر بها، تشعر بانها غير مرتاحة، غير مرغوب بها في البيت، وهذه الأفكار المرعبة مع هذا الصداع الذي يقربها من الهلوسة والجنون، كانت تراودها فكرة الانتحار بين فترة وأخرى، تنتابها الحمى وتسقط طريحة في الفراش وفي مخيلتها الوان وانوار لا تجد تفسيرا لها ... والعمة تتقول عليها وتتهمها بعلاقات مع الشباب، تهدئ العمة عند الزيارة الشهرية لأبي فاطمة لتستلم منه المال لمصاريف فاطمة وبعد مغادرة اخيها تعود العمة الى تصرفاتها السيئة وتعود الاهانات لابنة أخيها ...

تدهورت صحة فاطمة كما تدهور مستواها الدراسي وأصبحت في حالة من التلبد وعدم الاهتمام بالذل والاهانات التي تكيلها عمتها لها ...

انتهى العام الدراسي ورجعت لأسرتها وقضت إجازة جميلة انستها المعاملة السيئة من العمة الأسوأ، وكانت تساعد أسرتها في زراعة الفول واللوبيا والدخن وقد تحسنت صحتها واستعادت استقرار نفسيتها ... وفي بداية العام الدراسي من السنة الثانية للثانوية، ولأول مرة في حياتها قالت لأبيها رغبتها:

- هذه المرة لو التعليم له علاقة بالإقامة مع عمتي فانا لن اذهب للمدرسة واترك

الدراسة ...

وعند إصرارها على موقفها قال ابوها:

- طيب يا فاطمة هذه المرة ستكونين في بيت عمك في مزرعة الفول ...

وكادت تطير من الفرح ... واخذت تحضر نفسها للسفر الى بيت عمها، وفي اليوم الثاني سافرت برفقة عمها الصغير الذي تربى ونشأ معهم في البيت...

وصلت فاطمة برفقة عمها الى مدينة قارسلا، وكان المرور بها صعب جدا، وكان عليهما ان يعبرا أحد الوديان الذي غمرته المياه وهذا هو حال الطرق في البلد وقت الخريف ...

قرر العم ان يعود ليطلب العون من اخية ولا سبيل آخر للوصول الى المزرعة الا بعبور الوادي المغمور بالمياه وهذا يتطلب دفع أجور وسائط النقل التي تعبرهم الوادي وكلفة الأجور عالية وما معهم من مال لا يغطي تلك الأجور

لذا كان قراره العودة لطلب العون وطلب من فاطمة ان تبقى في قارسلا لحين عودته...

وصل العم الى منطقة بندسي في منتصف طريق عودته، متعبا جائعا وقد داهمه الليل فقرر ان يبات فيها وعسى ان يجد من يوصله الى كابار حيث مزرعة أخيه، محطتهم الأخيرة، ومن سوء الحظ فقد هاجمت قوات من المعارضة على منطقة بندسي وعملوا في أهلها السلب والنهب واعتدوا على من فيها وسلبوهم حتى الملابس التي يرتدونها، ولم يبقى لدى عم فاطمة ومرافقها سوى الملابس الداخلية والحذاء... وفي الصباح واصل رحلته سيرا على الاقدام حتى وصل الى المزرعة ليلا، وفي صباح اليوم التالي فوجئ بان اهل المنطقة كلهم هربوا الى تشاد البلد المجاور للسودان ليكونوا بمأمن من هجمات الفصائل المتقاتلة خوفا من القتل والتعذيب والنهب والسلب... اما البنت المسكينة والتي بقت في قارسلا بانتظار عودة عمها قد تملكها الخوف والرعب وهي تسمع اخبار هروب الناس الى تشاد ولا تدري ما

حل بالأهل، هل هم بخير ام وقعوا فريسة بيد الفصائل المتناحرة ام غرقوا في الوديان المغمورة بالمياه، أفكار مرعبة وتخيلات تركتها في حالة من الوجوم عاجزة عن التفكير وقد هدها الجوع والرعب... وهي تحدث نفسها، ماذا يجري في هذا البلد وكيف الخلاص، وهذا حال الفصائل المتناحرة، الكل يدعي انه يقاتل من اجل الوطن، والوطن ممزق بينها والكل يدعي انه يقاتل من اجل الشعب وحمايته، والشعب هو الذي ينزف دما... تسأل نفسها ولا تجد الجواب ... وهي في حالة القلق والخوف وبعد ثلاث شهور جاء زوج بنت عمها سيرا على الاقدام من تشاد الى قارسلا ليصرف رواتبه المتراكمة عسى يعين اسرته بعض الشيء، جاء حاملا رسالة من والدها يخبرها ان تذهب بالرسالة الى بيت خالتها، وكانت سعيدة بانتهاء حالة القلق والخوف الذي عاشته طيلة الاحداث الماضية...

اسرعت فاطمة وشدت الرحال الى بيت خالتها ووصلت لهم وهي تحلم وتتمنى ان يكون هذا البيت مقرا آمنا لها بعد حالات القلق والخوف التي مرت عليها ... رحبت الاسرة بها أجمل ترحيب وقد اطمأن قلبها أخيرا انها ستجد الراحة وتتفرغ لدراستها وتحقيق حلمها بالتفوق وآمالها ببناء مستقبلا يلبي طموحها ... اخذت تعد ميزانيتها، كان معها سبعون جنيها سودانيا، دفعت منها خمسة وثلاثين جنيها رسوم المدرسة واحتفظت بالباقي للمشاركة به في مصاريف البيت فهي أبية النفس لا تحب ان تكون عالة على البيت وتقول الا يكفي انهم وفروا لها الملجأ الامن!!!

كانت الاسرة مؤلفة من العم والجد وبنت عمها وابنه، والراتب التقاعدي للعم لا يزيد عن العشرين دولار وفي تلك الظروف الصعبة كان هذا المبلغ لا يستقيم لنهاية الشهر... وأصبحت لا تجد ما تأكله، باعت ملابسها

القديمة حتى لم يبقى عندها سوى ما يستر بدنها، فأخذت اشباح الامس تراود حاضرها ... كانت لهم جارة طيبة جدا وتعرف حالهم جيدا فاستدعت فاطمة وطلبت منها ان تساعدها بتزيين شعرها وشعر بناتها وفاطمة كانت موهوبة وتحسن ذلك، فكانت تتغدى معهم وتتعشى معهم ....

فاطمة الآن في ربيعها الخامس عشر مرتاحة وسعيدة في بيت عمها ولكن كانت ترى صورة ابيها وتزمته في عمها، لا تخرجين، لا تصاحبين، من البيت الى المدرسة ومن المدرسة الى البيت، متذرعا بالخوف عليها من صحبة السوء ... نعم، صورة من الاب بشكل العم..

بالرغم من عفوية هذه البنت الجميلة وبراءتها وذكاءها وخوفها من شيء لا تعرفه فان الخوف والهواجس كانت تراودها كلما اختلت بنفسها لكنها كانت منفتحة مع زميلاتها في المدرسة والكل يحبون مجالستها ... ولكن

الآم التعامل الذي لاقته ممن سكنت معهم من اقاربها كان كالكابوس الجاثم على صدرها لا تقدر تزيحه ولا تقدر ان تنساه وكل املها أن تنجح في دراستها ولكن بلا طموح ولا أحلام فإن طموحها قد مات واحلامها أصبحت سراب، كان استمرارها بالدراسة هو ملء الفراغ الذي تعيشه والهرب من البيت القاسي الذي تعيش فيه ولتشغل فكرها عن التفكير بوالديها واخواتها وما قد يتعرضون له من اضرار نتيجة الأوضاع المضطربة التي يعيشها البلد ... حياتها حلوة في بيت عمها وخالتها وكانت ترعاها كابنتها، ترعى الزهور وتسقيها وتزين البيت بها وكانت تدخل المطبخ وتعمل ما تشاء كأنها ملكة في بيتها، ولكنها اشبه بسجينة، لا شيء سوى البيت والمدرسة والطريق بينهما بلا خبرة ولا تجارب ولا صديقات من زميلاتها في المدرسة، وان كان هناك ضرورة للخروج من البيت فترافقها خالتها ومع هذا كله كانت تشعر بالراحة والأمان

مقارنة لما تعرضت له من سوء المعاملة من اقاربها ممن سكنت معهم سابقا...

في مساء أحد الأيام زارهم صديق عمها مع زوجته وولدهم الشاب ادريس، وكانت جلسة عائلية جميلة والحديث الممتع مستمرا بين الحاضرين، وادريس ذلك الشاب الوسيم يسترق النظر الى فاطمة بين فترة وأخرى فانتبهت لنظراته وشبح الابتسامة على وجهه فكانت تتحاشى ان تلتقي عيناهما ولكنها كانت تختلس النظر دون ان يشعر هو ولا الحاضرون ... انتهت الزيارة واستأذن أبو ادريس وغادروا الدار مودعين بنفس حفاوة الاستقبال ....

أما ادريس صار ينتظر على الطريق ويشاهد فاطمة اثناء ذهابها الى المدرسة والعودة منها يلاحقها بنظراته وابتساماته ... اما فاطمة العديمة الخبرة بأمور الحياة والتعامل مع هذه الحالات والتي لا تعرف شيئا عن الحب

ولم تمر به من قبل، وهي تلك البريئة الطاهرة ... تشعر بشيء لا تفهمه ولا تعرف معناه الا انها قد تعودت على رؤيته كل يوم في طريقها الى المدرسة ... وفي احد الأيام أعطاها رسالة، اخذت الرسالة بدافع الفضول، وغادر مسرعا بعيدا عنها، اخذت تقرأ ما فيها من كلمات رقيقة تعبرعن مشاعره وحبه لها وانه يتمنى ان تكون زوجة له، ارتبكت وارتجف بدنها وتسارعت دقات قلبها ولا تعرف ما تعمل ولا كيف تتصرف، ولا تعرف بمن تستعين ليرشدها ... الأم وهي بعيدة عنها ام عمها وخالتها وهما كانا لا يسمحان لها حتى بالخروج وحدها ... أفكار متضاربة وميل وخفقان قلبها ولا تعرف له سببا ... وفي حالة الحيرة هذه انتبهت لها احدى زميلاتها في المدرسة وسألتها ...

- ما بك يا فاطمة فانت سارحة لا تركزين على الدرس وكأنك في مشكلة ... خبريني عسى أقدر ان اساعدك السنا زميلتين في هذه المدرسة؟

شعرت فاطمة بالراحة لما قالته زميلتها وكأنها غريق في نهر صاخب مرت بقربه خشبة فتشبث بها، واخبرت زميلتها بالحكاية من أولها الى آخرها واعطتها الرسالة ...

قرأت زميلتها الرسالة وقالت لها ...

- سأكتب له الرد ونختبره
- حسنا ... قالت فاطمة

كتبت زميلتها الرسالة وقالت اعطيها له ... وهي من غبائها وعدم خبرتها لم تفكر ان تفتح الرسالة لتعلم ما كتب فيها ...

في اليوم التالي وجدته ينتظر كعادته في الطريق ... اعطته الرسالة واسرعت مبتعدة وذهبت الى المدرسة...

اما ادريس فكان ينتظرها كل يوم في ذهابها وايابها ويسمعها كلمات الحب والغزل والوعود وهي تكاد لا تفهم شيئا الا ان ذلك كان تغييرا في مسيرتها اليومية لا تعرف كيف تقبله او ترفضه ...

المنزل الي تعيش فيه فاطمة من البيوت ذات الطابع الريفي، بسيط وجميل وبالقرب من وادي جميل جدا يشعر الساكن قربه بالراحة والأمان ويسحره بجماله الرباني، ساحله جنائن من أشجار المانجو بأنواعها والجوافة بأشكالها والليمون بأصنافه المتعددة ...

وفي أحد الأيام مع سكون الليل وتكاد لا تسمع سوى صوت البوم بين فترة وأخرى ... سمعت صوت خطوات تمشي بخفة وهدوء فتملكها الخوف والرعب،

لفت نفسها بغطاء الفراش وفي كل خطوة تسمعها تلتف في الغطاء أكثر وينكمش جسدها المرتعب أكثر حتى أصبح كومة ملتفة بغطاء الفراش، حاولت ان تصرخ ...

لكن صوتها اختنق في حنجرتها ... أصبح صوت الخطوات أوضح ... ما هذا يا ربي ... هل هذا حيوان من الوادي القريب ... انها خطوات انسان صرخت ولكن صوتها ما غادر حنجرتها، اقتربت الخطوات وأصبحت امام باب غرفتها ... صرخت بأعلى صوتها ولكن صوتها ضل حبيسا في حنجرتها ... فتحت الباب بهدوء وعلى الضوء البسيط الخافت شاهدت صاحب الخطوات التي تسللت الى غرفتها ... إنه ادريس ... الجسد يرتجف وقلبها يكاد ان يتوقف من الرعب، وقف امام سريرها وهي ملتفة بغطاء الفراش ... نظرت اليه فاذا بيده عصا غليظة من الابنوس وبيده الأخرى الرسالة التي سلمتها له وقال بصوت خافت هذه رسالتك وانت التي دعوتني وهذه العصا ان انت تقاوميني، وان ضربة من هذه العصا الغليظة تكاد تقتلها ... اقترب منها وسحبها من بين لفات الغطاء وهي تصرخ وصوتها مخنوق تقاوم ببدن يرتجف

... فاغمي عليها من الرعب والخوف ... ولا تدري ما حدث ... وعندما افاقت من غيبوبتها وجدت نفسها شبه عارية وبملابس ملوثة ولا وجود لإدريس ولا العصا ولا الرسالة، جلست على السرير تبكي ولا تدري ما تقول ... هل تفضح نفسها ... هل تشعل المشاكل بين عمها وجارهم ... وان تكلمت فرسالتها عنده ويقول انها هي التي دعتني، كرهت نفسها وفكرت ان تشنق نفسها ولكن هل تحل المشكلة ام الفضيحة أكبر ... فقررت ان تلملم نفسها وتنضف ملابسها وتكتم الخبر، اما ادريس فلم تراه بعد تلك الليلة المشؤومة وكأنه شبح واختفى ...

دفنت فاطمة نفسها بالدراسة وانقطعت عن كل من حولها كارهة لنفسها وأصبحت جسدا بلا روح ...

وبعد انتهاء العام الدراسي وانتهاء الامتحانات النهائية سافرت الى تشاد لتلتقي بأسرتها التي هربت الى تشاد والتقت بأختها الكبيرة التي اخبرتها بالوضع المأساوي

للأسرة، الام بالمستشفى واخوها الصغير مصاب بسوء التغذية وفي المستشفى منذ أكثر من سنة وان اباها مريض طريح الفراش ... بلا مورد وبلا معين ... ولاجئين في تشاد يعيشون في مخيم فيه عشرين ألف نسمة عيشة سيئة جدا.... فوجدت فاطمة نفسها والحالة هذه مسؤولة عن البيت بأم واخ مريضين في المستشفى واخت عاجزة واب مريض ...

التحقت بالعمل في الصليب الأحمر فكانت أول شابة تحمل الشهادة الثانوية في المخيم وبمرتب بسيط لا يكفي احتياجات اسرتها التي أصبحت مسؤولة عنها ... وفي العمل كان مديرها التشادي رجل في متوسط العمر يلاحظ حالة هذه الشابة الجميلة وحيرتها ومسؤوليتها وبمرتبها البسيط والعوز الذي تعانيه فعرض عليها ان ترعاه في بيته رعاية خاصة مقابل اعطاءها نسبة جيدة من راتبه في كل شهر ... فأصبحت ترعاه في كل احتياجاته وفي كل

ما يطلب، عشيقة له، وأصبحت كلمة الشرف لا تعني عندها شيء وهي لا تزال كارهة لنفسها لما أصابها من غدر من ادريس ...

بمرتبها البسيط وبما تحصله من مبلغ جيد لرعايتها مديرها التشادي أصبحت قادرة على اعالة اسرتها ... استمرت على حالة الضياع هذه لسنتين ثم في صحوة انتبهت وقررت ان تنهي حالة الضياع هذه وتنهض مجددا تصارع الظروف الصعبة فالتحقت بمعهد للغة الفرنسية فتفوقت على اقرانها وطلبت من ابيها ان تكمل دراستها في احدى مدن تشاد فرفض ثم جاءتها فرصة أخرى حيث دخلت امتحان منافسة في المعهد ولتمييزها وفوزها الباهر رشحها المعهد لمنحة دراسية في فرنسا مجانا واعدت العدة للسفر ... ثم جاء الرفض من ابيها أيضا فحرمها من فرصة العمر والتي لا تعوض ... كانت فرصتها الذهبية لاستعادة طموحاتها المدفونة من سنين

... خيبة الامل وآلام الماضي وغدره وذكرياته المريرة جعلها كتلة من جسد محطم بلا روح ...

سنحت لفاطمة الفرصة كموظفة في الصليب الأحمر ان تحصل اللجوء هي واسرتها الى اميركا، وتلقت الخبر بشكل عادي جدا وبمشاعر باردة جدا، وانتهى بهم المطاف لاجئين في اميركا، وحزمت امرها ان تكمل دراستها في اللغة الإنكليزية ودخلت الجامعة وتخرجت فيها بتفوق ومع ذلك النجاح والتفوق كانت اشباح الماضي تمر بها فتصاب بفتور ذهني ونفسي ويكاد طموحها يموت من جديد... واكتفت بالعمل الذي توفر لها لتعيل اسرتها وتسد جزءا كبير من احتياجات البيت ...

تتميز الحياة في اميركا بالوتيرة السريعة، لا مجال للتوقف الكل مسرعا الى عمله من الصباح الى المساء، من البيت الى العمل الى مراكز التسوق الى العودة للسكن مارا بصندوق البريد في المجمع السكني متفحصا رسائله

وما فيها، وهكذا كان حال فاطمة، وفي عودتها من العمل مساء الجمعة مرت بصندوق البريد الخاص بها وهي تفكر كيف ستقضي عطلة نهاية الأسبوع بدون العمل فان العمل هو الذي يشغلها وينسيها آلامها وأحزانها، فتحت صندوق البريد وذهبت الى الشقة التي تسكنها وهي تقلب الرسائل فهذه من المصرف الذي تتعامل معه وهذه من شركة الكهرباء والماء وهذه إعلانات مبوبة وهذه رسالة غريبة، وصلت الشقة، القت التحية على أمها وابيها ورمت الرسائل غير مكترثة على منضدة الطعام وتهالكت على كرسي في الصالة ... نظرت الى الرسائل ودفعها الفضول لترى ما مضمون الرسالة المجهولة، اخذت الرسالة وفتحتها ونظرت الى اسم المرسل وتملكتها فرحة، انها من عمها وخالتها وسارعت بقراءتها لتعرف اخبارهم وتطمئن عليهم فان الفترة التي قضتها في المزرعة كانت من اجمل لحظات حياتها لولا تلك الحادثة

المشؤومة والتي تركتها جسدا محطما بلا روح استمرت بالقراءة، ما هذا؟ ان عمها يخبرها ان هنالك شاب غريب تقدم لخطبتها ومعروف لدى عمها ويطلب رأيها وموافقتها، دارت الأفكار في رأسها واخذت الهواجس والاشباح تعود اليها مرة أخرى ولا تدري ماذا تقول هل توافق ام ترفض وان وافقت فكيف تفسر حالتها وان رفضت فكيف ترد عمها وهو الذي رشحه لها وكيف تفسر رفضها،

صداع غثيان وحيرة ثم قررت ان تخبر عمها بالموافقة بشرط ان تتكلم مع الشاب أولا... وقد قررت ان تخبره بقصتها وما تعرضت له فان قبلها فأهلا وسهلا وان رفضها فهي بمأمن من مشاكل جديدة لا تقوى على حملها وهي التي لا تزال تعاني من المصائب التي مرت بها ... تكلمت مع الشاب وصارحته بالحقيقة وكان جوابه:

- **فاطمة ان ماضيك غير مهم عندي انه ماض وذهب، المهم عندي هو ما انت عليه الان فهذا يكفيني ... تمت الخطوبة عن بعد فالشاب في تشاد وهي في اميركا.... ولكن بعد الخطوبة بدأت الاساءات من خطيبها بشكل مباشر وغير مباشر، ومن خلال الحديث معه تبين انه مدمن على الخمر والتدخين وانه بغير عمل وكانت نيته ان يتخذ منها جسرا للوصول الى اميركا، قررت فورا بفسخ الخطوبة وبعد إصرارها على الرغم من رفض الشاب تم الانفصال وانتهت منه تماما وهي تردد مع نفسها:**

لن أكون ضعيفة بعد اليوم ولن ادخل في متاهات ومشاكل اما يكفيني ما جرى علي... كم تمنيت ان اموت وانا صغيرة ولا أرى تلك المصائب كم تمنيت لو تربيت يتيمة الوالدين ولا أصبح بحالة الضياع والحيرة هذه ... ولا أدرى على من ألقي اللوم، حرص

الاهل وعدم تثقيفها بحال الدنيا واسرارها ام الجهل وهذا المجتمع الغارق فيه ام الحروب والخلافات بين أصحاب المطامع والمصالح أم هو قدرها وما كتبه الله عليها ... ومهما كان السبب لن استكين ولن اضعف سأشق طريقي قدما ولن انظر الى الماضي ومشاكله وآلامه سأرميه خلف ظهري، انه درس من دروس الحياة وقد استوعبته ودفعت ثمنه دموعا وآلاما ... وها انا على أبواب الثامنة والعشرين من عمري وامامي الحياة وعملي الثابت المستقر ... لأنعم بما وهبني الله ولأتخذ من الماضي عبرة لأستمر في الحياة لتنير لي طريقا في المستقبل ...

الشاعر في سطور

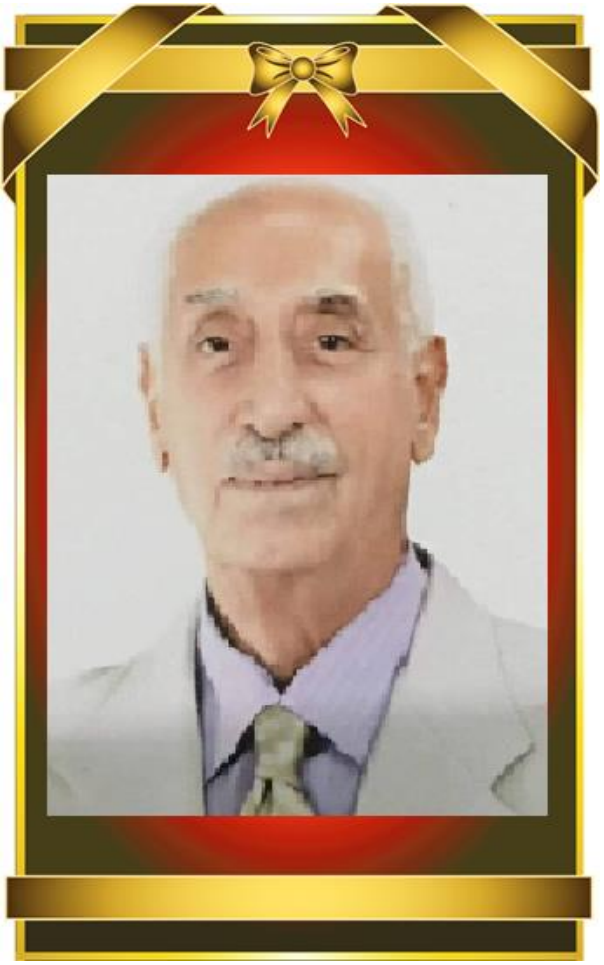

 # صباح أحمد الجُمَيْلي

 # مهندس استشاري

 # تخرج في كلية الهندسة – جامعة بغداد عام 1960

 # عمل في دوائر الدولة وتدرج فيها حتى وصل إلى درجة مدير عام في المنشآت الإنتاجية

 # ترك الوظيفة متقاعدا في عام 1987

 # يعمل حاليا مهندسا استشاريا ومستشارا فنيا من خلال مكتبه الهندسي

 # بالإضافة إلى حبه لعمله الفني والهندسي وتفانيه فيه وله، فهو عاشق للشعر والأدب والفن والتاريخ والتراث

 # عضو مجلس إدارة دار النيل والفرات للنشر والتوزيع (مدير عام المكتب الإقليمى فرع بغداد)

 # حاز لقب شخصية العام الثقافية عام 2018 عن مُجْمل أعماله الإبداعية فى مسابقة شاعر / أديب النيل والفرات الدورة الثالثة سبتمبر 2018

صدر له

 # الهديل (أشعار) طبعة أولى 2005

 # موعد مع بغداد (صدرت الطبعة الأولى فى أغسطس 2018 عن دار النيل والفرات للنشر والتوزيع)

 # الهديل (أشعار) طبعة ثانية أكتوبر 2018

 # حلم ضائع (قصص) 2018 دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

محتوى الكتاب

بطاقة الكتاب 4

تمهيد 5

الزمن الجميل 9

حلم ضائع 19

السعادة شبح 25

إنه باق وهم الزائلون 31

لقاء من خيال عاشق 37

هل هى بوادر الجنون 43

آمال ممزقة 47

الشاعر فى سطور 77

محتوى الكتاب 80